الكيانية الفلسطينية والهاجس العروبي

Shemesh, Moshe; *The Palestinian Entity, 1959-1974; Arab Politics and the PLO*, London: Frank Cass, 1988, 402 Pages.

غالباً ما تراوحت قضية فلسطين في العالم العربي بين كونها قضية مقدّسة اولى، وبين كونها موضوعاً رهن التنافس بين المحاور العربية ـ العربية. وجرياً على تقليد اخلاقي في اللغة السياسية العربية، شاع ربط مقدّس بين قضيتي الوحدة العربية وتحرير فلسطين. واذا ما وجد تناقض ما في هذا الربط، يجرى حلّه في النطاق الايديولوجي، وانْ كان حلاً جزئياً ومؤقتاً، وعلى نحو لا يخلو من افتعال وتوليف.

وراء هذا النطاق الايديولوجي المعلن، كان يعمل المنطق الصارم لكيانية ناشئة في الدول العربية، اختبأ قدر كبير من النفعية، وربما الانتهازية، في ثوب «الربط المقدس». وفي خلال ذلك، أفهم الفلسطينيون، الذين ارتبط اهتمامهم بالعروبة بمدى مردودها الفلسطيني، بغير طريقة، ان «التحرير» متروك للسياسات العربية العليا، وما عليهم، بالتالي، سوى الاطمئنان الاستراتيجي.

وفي باطن الاشياء تطوّر فهم يخالف ما في ظاهرها؛ فما ان بدأت الايديولوجيا «الرابطة» تفقد شحنتها بتخلّي بعض القيادات العربية عن المضيّ في طريق «التحرير»، حتى بدأ الفلسطينيون، من جهتهم، يتخلّون عن الاعتماد فقط على «العروبة» التي انطفأت من دون ان يترتب عليها اي مردود تحريري، وتولوا بانفسهم صوغ الخط الكياني البديل الذي اعلن، من دون تهيب او حرج، عن انفكاك التحالف السابق، ويتصدي اصحاب المهمة المباشرين له، بعد ان امتحنت البدائل العربية التي كان بعضها يطالبهم بالانضواء في عروبة مستقيلة لا تعدّ لحرب «التحرير»، ولا تنتصر اذا فرضت عليها الحرب.

هذه السيرورة ذاتها، هي هاجس كتاب موشي شيمش «الكيانية الفلسطينية، ١٩٥٩ ـ ١٩٧٤؛ السياسة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية»، وهي محرك الكتاب على امتداد فصوله الاربعة. ومن هنا، ايضاً، يكتسب الكتاب اهمية؛ فهو يشكّل سرداً تاريخياً موثّقاً بمتانة عن المرحلة المعنيّة بالبحث مع استعمال واسع، وذكي، للكتابات الاكاديمية والصحفية، العربية والاجنبية، عن الموضوع، وذلك كله بايجاز شديد يصعب علينا ايجازه.

اشار المؤلف، في الفصل الاول، ويحق، الى ان العام ١٩٥٩ كان عاماً حاسماً في بلورة الكيانية الفلسطينية، وربما جاز اعتباره عام فلسطين؛ لماذا؟ لأن مسألة الكيانية بدأ تجسيدها العملي في الواقع العربي. وخصّ، في هذا الصدد، مصر كولّادة للكيانية الفلسطينية، بينما لم تكن خطة الرئيس العراقي، عبدالكريم قاسم، في العام ذاته، في الدعوة الى اقامة جمهورية فلسطينية، الاّ ردّة فعل على الدور المصري في هذه العملية. واكد شيمش، انه على الرغم من محدودية غرض الخطة، فانها عملت كحافز على ادخال عناصر جديدة الى المبادرة المصرية، في هذا الشأن، خصوصاً على الصعيد العربي، لكنها ساهمت، أيضاً، في تحفيز الفلسطينيين انفسهم على الالتفات صوب كيانيتهم الخاصة بهم، ومحاولة بلورتها (ص ٨ ـ ١١).

وبالنسبة الى الاردن، كانت الكيانية الفلسطينية بمثابة تهديد لوحدة الضفتين، واعتبرت كمحاولة من الرئيس المصري، جمال عبدالناصر، للاطاحة بالعرش الهاشمي. وفوق ذلك كله، كان الاردن طامحاً، في العام ١٩٥٩، الى «اردنة» السكان الفلسطينيين. من هنا، اكد المؤلف انه من السهل فهم معارضة الملك حسين